

صورة أخرى في القدر

الأخلاق بني إسرائيل واليهود

لأستاذ محمد عزة دروزة

نستمر في عرض الصور الأخرى في القرآن لأخلاق بني إسرائيل واليهود تنمة لما نشر في عدد ربيع الأول ١٣٨٩ .

الكلم عن مواضعه وأهملوا كثيراً من آيات الله ووصاياهم فاستحقوا لعنته وابتلاءه إياهم بقسوة القلب . وفي الآيات ما يفيد أن كل ذلك ظل مستمراً فيهم إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً منهم وقد أمر النبي بالتسامح مع هؤلاء والصفح عنهم فإن الله يحب المحسنين

١٤ - وفي السورة نفسها هذه الآيات ((وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجال من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب

١٣ - وفي سورة المائدة هذه الآيات (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ١٢ و ١٣)

وفي الآيات صورة مما أخذه الله تعالى على بني إسرائيل من وعد وأنذرهم من إنذار إذا ما نقضوه . وفيها تقرير بأنهم نقضوه وحرفوا

فاذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله
فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .

قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا
ما داموا فيها فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب
إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين . قال
فإنها محرمة عليهم أربعين سنة
يتيهون في الأرض فلا تأس على
القوم الفاسقين (٢٠ - ٢٦)
وفيها صور لما كان من لجاحهم وجبنهم
وفزعهم في زمن موسى عليه السلام
وما كان من نكال الله فيهم إذ حرم
الله عليهم الأرض المقدسة وضرب
عليهم التيه في الأرض ووصفوا
بالفاسقين . وأمر الله رسوله بأن
لا يأس ولا يحزن من أجلهم .

ونبه على أمر مهم . فالآيات
تذكر أن موسى قال لهم أن لهم
الأرض المقدسة وأمرهم بدخولها
فتمردوا على الأمر وامتنعوا فعاقيهم
الله بتحريمها عليهم فيكون ما حكاه
القرآن عن قول موسى قد نسخ
وانتهى بسبب هذا الموقف .

١٥ - وفي السورة نفسها هذه
الآية (من أجل ذلك كتبنا على بني
إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير
نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل
الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما
أحيا الناس جميعاً . ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد
ذلك في الأرض لسرفون (٣٢)
وهذه الآية جاءت تعقيباً على الآيات التي

فيها أشار إلى ما كان من نزاع بين
ابني آدم وعدوان أحدهما بغيماً على
أخيه وقتله إياه . وفيها صورة لما
كان من انحراف كثير من بني
إسرائيل ومخالفتهم لما كتب الله عليهم
بعد ما جاءت إليهم رسل الله حيث
ظل كثير منهم مسرفون فساداً
وانحرافاً في الأرض جيلاً بعد جيل .

١٦ - وفي هذه السورة أيضاً
هذه الآيات (لعن الذين كفروا من
بني إسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .
٧٨ و٧٩) وفيها صورة عن ما كان
من ديدنهم من العصيان على أوامر
الله والعدوان على الناس وعدم
التناهي عن المنكر الذي يقترب فيهم
ويرتكسون فيه جميعاً . وما كان من
لعنتهم بسبب ذلك على لسان داود
وعيسى ابن مريم عليهما السلام .

١٧ - وفي السورة أيضاً هذه الآية
(وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ
جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا
منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠)
وفيها صورة لموقفهم من رسالة عيسى
عليه السلام وكفرهم بها ووصفهم
إياها بالسحر .

١٨ - وفي سورة الأنعام هذه الآية
(وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو
الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك

جزيناهم بفيهم وإنا لصادقون (١٤٦)
وفيها صورة لما كان من بفيهم وانحرافهم وما كان من نكال الله لهم بتحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ذلك .

ولقد أشير الى هذه الآية في آية في سورة النحل وفيها توكيد بأن الله إنما حرم عليهم ما حرم جزاء على ظلمهم وهي (**وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ١٦٨**)

١٩ - وفي سورة الاعراف هذه الآية (**واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ١٣٧**) وفي الآية تقرير كون الله انعم عليهم وأورثهم الأرض المباركة اذا ما صبروا واستقاموا . ولكنهم لم يصبروا ولم يستقيموا وارتكسوا في انحرافات أخلاقية ودينية كثيرة في عهد موسى وبعده مما حكته آيات عديدة منها ما مر ومنها ما سوف يأتي ففقدوا بذلك آثار وعد الله واستحقوا ما سجله عليهم القرآن من غضب ولعنة وذلة ومسكنة .

٢٠ - وفي سورة الاعراف أيضاً هذه الآيات (**وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم**

تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغبر الله أبغيتكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين . وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ١٣٨ - ١٤١)

وفيها صورة لمسارعتهم الى حجود نعمة الله وفضله لهم وتنجيتهم اياهم برغبتهم في الانحراف على التوحيد والارتكاس في عبادة الأوثان وطلبهم من موسى اقامة اصنام لهم حال ما رأوا غيرهم يفعل ذلك مما يدل على تأصل روح الوثنية فيهم .
والصورة المذكورة في هذه الآيات غير الصورة التي حكته آيات سورة البقرة ٩٣ و٩٤ -

فصورة آيات البقرة هي لاتخاذهم العجل في اثناء غيبوبة موسى عندهم حينما سار الى مناجاة ربه . وصورة آيات الاعراف كانت منهم قبل ذلك .
٢١ - وفي سورة الاعراف هذه الآيات (**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ١٤٨**) وهذه الصورة هي نفس صورة آيات البقرة .

وقد جاء بعد قليل هذه الآية (**إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ١٥٢**) حيث احتوت ما قرره الله عليهم من غضب وذلة في الحياة الدنيا جزاء

• وإنه لغفور رحيم ١٦٢ - ١٦٦) •
وفي الآيات صورة لاحتياهم

على شريعة السبت فالله تعالى حرم عليهم العمل يوم السبت فاراد أن يمتحنهم ليكشف مقدار تمسكهم بحرماته في ميناء بحري لهم فمنع السمك يأتي اليهم إلا في يوم السبت فحفروا حفائر لاسقاطها فيها حتى تظل محبوسة فيستخرجوها يوم الأحد . فأسخطوا بحيلتهم الله عز وجل وقال لهم كونوا قردة خاسئين وآلى على نفسه أن يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب .

٢٤ - وفي سورة الأعراف أيضاً هذه الآيات (وقطعناهم في الأرض أما من الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيففر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم ياخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ١٦٨ و١٦٩)

وفي الآيات صورة لما كان من تشتيت الله لهم بسبب انحرافهم وكتبه عليهم اللعنة وإيلائه على نفسه أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ثم صورة لما كان رغماً عن ذلك من استغراقهم في الدنيا واساءتهم استعمال كتاب الله وتحريفهم لميثاقه وانحرافهم عنه .

ظلمهم وانحرافهم .
٢٢ - وفي سورة الأعراف أيضاً

هذه الآيات (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين . فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون ١٦١ و١٦٢)

وهذه الصورة تكرر للصورة التي ذكرت في آيات البقرة ٥٨ و٥٩) مع التنبيه على أن آيات البقرة جاءت في سلسلة تذكيرية بما كان من اجداد بني اسرائيل في مناسبة موافقهم من الدعوة النبوية وقد ربطت بين الأبناء والآباء لتقرير كونهم يصلدون جميعاً عن جبلة منحرفة واحدة . في حين جاءت آيات الأعراف في سلسلة قصص بني اسرائيل وحسب .

٢٣ - وفي سورة الأعراف أيضاً هذه الآيات (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون لشيء السبت إذ تاتيهم حينئذهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون . وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . وإذ تأذن ربك ليعبثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب